مجلة المخبر" أبحاث في اللغة والأدب الجزائري " المجلد 22/العدد01 (2025)
ISSN 1112 – 6280 / E-ISSN :2588-2465 الصفحات: 71 - 90

التجربة الشعرية عند أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني

The Poetic Experience of Abu al-Hasan Ali ibn Abd al-Ghani al-Hassani al-Qayrawani

سامية بوعجاجة

1–مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة، بسكرة (الجزائر)/samia.bouadjadja@univ–biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2025 /11/09 تاريخ القبول: 2025/12/02 تاريخ النشر: 2025/12/31

الملخص : تسلط هذه المقالة الضوء على شخصية أدبية مغربية أندلسية، كانت من أعلام القرن الخامس الهجري، وهو عصر شهد نهضة علمية، وحركة أدبية لافتة. أما الشاعر فهو أديب أجاد في فن الترسل وبرع في قرض الشعر، وعرف بكثرة تنقلاته بين الحواضر المغربية والأندلسية، لظروف سياسية قاهرة، ويعود الفضل في التعريف بهذه الشخصية اللامعة إلى أديب الأندلس ابن بسام الشنتريني، الذي أحاط بنشاطه الأدبي في الأندلس، كما حفظ كتابه الذخيرة نصوصه النثرية والشعرية. والمعروف عن الشاعر تفننه في النظم والكتابة واتباعه طريقة أبي العلاء المعري ولزومه مالا يلزم في البحر والروي، وتكلفه لغة صعبة تحفل بالمحسنات اللفظية والمعنوية. كما تجلت مهارته الشعرية في صوغه لمختلف الأغراض الشعرية وإجادته فيها.

الكلمات المفتاحية : الشخصية ،الأدبية؛ الأدب الأندلسي، الأغراض ، الشعرية.

Abstract: This article highlights a Moroccan Andalusian literary figure who was one of the luminaries of the fifth century AH, an era that witnessed a scientific renaissance and a remarkable literary movement. The poet was a writer who excelled in the art of correspondence and poetry, and was known for his frequent travels between Moroccan and Andalusian cities due to compelling political circumstances. Credit for introducing this illustrious figure goes to the Andalusian writer Ibn Bassam al-Shantirini, who chronicled his literary activity in Andalusia and preserved his prose and poetry in his book Al-Zakhira. The poet was known for his mastery of composition and writing, his following of the method of Abu al-Ala al-Ma'ari, his adherence to the rules of meter and rhyme, and his use of difficult language rich in verbal and semantic embellishments. His poetic skill was also evident in his ability to compose poetry for various purposes and his mastery of them.

Kayswords : Literary ,character; Andalusian literature, Poetic , purposes

المؤلف المرسل: سامية بوعجاجة

الاميل: samia.bouadjadja@univ–biskra.dz

التجربة الشعرية عند أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني

1/حياته: هو من مواليد القيروان سنة 420 هـ ، ويعرف بالضرير، أما ابن بسام فيطلق عليه لفظ : الكفيف أو المكفوف ، قيل: إنه "عمي بعد ولادته في زمن تكثر فيه الآفات التي تطمس البصر كالجدري وغيره "(مرزوقي وبن الحاج يحي 1963، ص 24)

ولذلك تركت هذه العاهة أثرها في نفسه وشعره، فكان متبرّما بالناس، حاقدا عليهم، يميل إلى الهجاء، يفتخر بعماه على المبصرين، فيقول:

وقالوا قد عميتَ فقلتُ كلاّ * فإنّي اليوم أبصرُ من بصيرِ

سواد العينِ زاد سواد قلبي * ليجتمعا على فهم الأمـورِ

(مرزوقي وبن الحاج يحي، 1963، ص 25)

ويلاحظ في شعره تأثره بأبي العلاء المعري صاحب اللزوميات، وقد ذكر ذلك ابن بسّام في الذخيرة، فقال: "وما أراه يسلك إلاّ سبيل المعري فيما انتحاه" (الشنتريني، ابن بسام، د س، ص 264)

تلقّى تحصيله العلمي الأول ببلده القيروان، فنهل علوم الدين والفقه والتفسير والحديث، كما تبحّر في علوم اللغة، وانكب على علم القراءات، الذّي برع فيه، وتصدّى لتدريسه في كبره، وتخرج على يديه في هذا العلم أسماء لامعة، كما ألّف فيه مؤلفات. (مرزوقي وبن الحاج يحي، أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) ،(1963، ص 25)

ومن أشهر أساتذته الذّين أخذ عنهم وتتلمذ لهم، نذكر: أبو بكر القصري، والحسن الجلولي، وعبد العزيز بن محمد؛ وهم من كبار فقهاء القيروان، وعلى يديهم تلقن القراءات السّبع. (مرزوقي وبن الحاج يحي، أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) .(1963، ص 26)

ارتحل إلى سبتة بعد نكبة القيروان، ومكث بها حوالي عشر سنوات، ودرّس هناك علم القراءات، وتخرّجت على يديه جماعة من أهل هذا العلم.

ولمّا شاع أمره وذاع صيته أرسل إليه المعتمد بن عباد وغيره في استدعائه "ثمّ اجتاز بعدها الأندلس التّي قضّى فيها نيّفا وعشرين سنة بين عواصمها وأمرائها" (مرزوقي وبن الحاج يحي، أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) 1963، ص 40)

توفي بطنجة سنة 488 هـ، وكان قد هرب إليها بعد حدوث فتن وقلاقل في الأندلس، وهو إذ ذاك شيخ كبير. (مرزوقي و بن الحاج يحي، أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية)،(1963، ص 61)

خلّف الشاعر أدبا كثيرا في الشعر والنثر ضاع أكثره خاصة في بلده القيروان، ومن أشهر أشعاره: ديوان المعشَّرات، واقتراح القريح واجتراح الجريح، كما برع في فن الترسل؛ إذ أورد له صاحب الذخيرة بعض الرسائل الأدبية والإخوانية، كما اشتهر بقصيدته المدحية (يا ليلُ الصّبُ متى غدهُ) والقصيدة تقع في تسع وتسعين بيتا، في مدح أمير مرسية، استهلها بمقدمة غزلية.

كما خلّف منظومة في القراءات (قراءة نافع) رائية الرويّ، اهتمّ بها الفقهاء وأصحاب التفسير، فقاموا بشرحها.

2/عصره: في هذه الفترة –أي القرن الخامس الهجري– نشطت الحركة الفكرية والأدبية في بلاد المغرب، وأصبحت القيروان" عاصمة الدولة الصنهاجية آنذاك "قبلة للشعراء والعلماء، يرتحلون إليها لينهلوا من علومها ويفدون عليها من كل حدب وصوب، فيتقربون من ملوكها وأمرائها، رغبة في الشهرة، وطمعا في نيل عطاياهم وهباتهم السّنيّة؛ ومن الأسماء التّي شاعت وذاعت في هذه الفترة نجد:

ابن رشيق، وابن شرف، وعبد الكريم النهشلي، وأبا الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني الوزير الكاتب، وأبو اسحاق إبراهيم الحصري ابن خالة أبي الحسن الحصري أو خاله في بعض الروايات، وهو صاحب كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" وقد أحصى ابن رشيق في نموذجه حوالي مائة شاعر من شتى بلاد المغرب وإفريقية ممن عاصروه، وغيرهم كثير.

وأعظم ملوك وأمراء الدولة الصنهاجية "المعز بن باديس" فهذه الشخصية حظيت باهتمام الأدباء والمؤرخين، فقد تولى مقاليد السلطة وهو ابن ثماني سنوات، وصفه ابن خلدون بأنه أمير همام.

بدأ الحكم منفردا سنة 416 هـ/1025 م، وقد عرف بالدهاء وحسن التدبير السياسي، ونيّف حكمه على الخمسين سنة، وكان مولعا بالعلم مبجلا للعلماء والشعراء، قال حسن حسني عبد الوهاب فيه: "اتفق الباحثون في تاريخ افريقية أن المعز كان واسطة عقد بيته، وخلاصة نقده. وأنه كان رقيق القلب، ديّنا، متجنّبا لسفك الدماء، إلاّ في حدّ، حليما يتجاوز عن الذّنوب العظيمة، حسن المعاشرة لخاصته وأصحابه، مكرما لأهل العلم، كثير العطاء لهم كريما" (عبد الوهاب 2009)

وفي أواخر حكمه تعرضت القيروان لانتكاسة تاريخية، تمثلت في الزّحفة الهلالية، من طرف الأعراب الوافدين عليها من صعيد مصر، فأعملوا فيها بمعاول التّخريب والدمار، وقد أثّرت هذه الفتنة على مستقبل البلاد، واضطر عدد من الأدباء والعلماء إلى الارتحال إلى صقلية كما فعل ابن رشيق الذي مات هناك، أو التوجّه صوب الأندلس كما فعل ابن شرف وعلي بن عبد الغني محل الدراسة.

3/ التجربة الشعرية عند الحصري: هو شاعر مفلق، تكمن تجربته الشّعرية في براعته في كل الفنون، واقتداره في صوغ اللّغة، والتعبير عن المعاني المغلقة بلغة محكمة جيّدة السّبك، تتجلّى فيها صنعته اللفظية.

نظم في جلّ الأغراض الشعرية وبرع فيها، شهد له ابن بسّام بالشّاعرية، فقال:" وأنشدني في شعره غير واحد من أهل عصري، وكان بحر براعة، ورأس صناعة، وزعيم جماعة. طرأ على جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه بالقيروان، والأدب يومئذ بأفقنا نافق السوق، معمور الطّريق، فتهادته ملوك طوائفها تهاديَ الرّياض النّسيم، وتنافسوا فيه تنافس الدّيار في الأنس المقيم." (الشنتريني، لذخيرة في محاسن أهل الجزيرة د س، ص 264)

ويقول ابن بشكوال في الصلة: "أديب رخيم الشعر، حديد الهجو، شعره كثير، وأدبه موفور" (مرزوقي و بن الحاج يحي، أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية)، 1963، ص 82 نقلا عن: الصلة لابن بشكوال،ج410/2)

وقد عرف بالهجاء، واشتهر في الأندلس ببذاءة اللسان، والتعرض لمهجويه بفاحش الكلام والسبّ والشتم، ذكر ذلك ابن بسّام وغيره، قال: "على أنه كان فيما بلغني ضيّق العطن، مشهور اللسن، يتلفّت إلى الهجاء تلفّت الظمآن إلى الماء." (الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة د س، ص 246)

وما يميز شعره، غرابة الألفاظ حوشيها، وغزارة المادة اللغوية، مما ينمّ ذلك على سعة اطلاعه وتفنّنه في علوم اللغة "فالرجل يملك ناصيّة اللغة، ويختزن في حافظته ثروة ضخمة منها، مكّنته من التصرّف – بسهولة ويسر – في التعبير عن أدقّ المعاني وأعمقها، ومن القدرة العجيبة على إطالة نفس القصيد ولو كان مختوما بأصعب القوافي وأعوصها" (مرزوقي و بن الحاج يحي، أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) 1963)، كما نلفي مصطلحات فقهية تختص بعلم القراءات، الذي برع فيه وتبحر في علومه، كما يحفل أدبه شعره ونثره بالتورية والجناس ولزوم مالا يلزم في قوافيه الشعرية، تأسيّا بأبي العلاء المعرّي.

والمرجح عند النقاد اطلاع الحصري على أدب أبي العلاء "إمّا في أواخر أيّامه بالقيروان، أو في الأندلس، والمعروف أنّ المعري قد توفي في السنة التّي فارق فيها الحصري القيروان 449 هـ. ولكن شعره كان وصل إلى إفريقيّة في حياته بواسطة تلميذه أبي عمرو الصفاقسي وإلى الأندلس بواسطة أبي عمرو هذا وغيره من تلاميذ المعري، والواردين على الأندلس من المشرق" (مرزوقي وبن الحاج يحي، أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) 1963، ص 86)

وهما يتفقان في العبقرية اللغوية، والبراعة الفنية في ميدان النّظم، وقبل هذا وذاك يتشاركان في آفة العمى، التي تعلي في نفس بعض الموهوبين، التغيّظ من الناس والحقد عليهم.

كما تجعل منهم موضع حسد لكثير من الدهماء العامة والخاصة الذين ينفسّون عليهم مواهبهم، وذكاءهم الحاد، ولذلك نراهم لا يتورعون عن اتهامهم بالكفر والإلحاد.

ونلمس محاكاة الحصري للمعري، في طريقة نظم القصيدة "فهو لا يكتفي بهذه الألوان من الجناس والتوريّة، والتّلاعب بالألفاظ لإظهار تفوّقه في الصناعة أحيانا، وللاندفاع وراء طريقة عصره أحيانا أخرى، ولا يقف عند التقيّد بالتزام حرفين أو ثلاثة في القافيّة، بل يفرض على نفسه نظم ديوان شعري كامل على حروف الهجاء، متقيّدا بعدد محدود من الأبيات في كلّ حرف كما فعل ذلك في ديوان (المعشرات) الذّي تقيّد فيه بعشرة أبيات في كل حرف من حروف الهجاء، وكما فعل ذلك في (ذيل اقتراح القريح) أيضا، حيث تقيّد فيه بخمسة عشر بيتا في كل حرف، وهو يشتد على نفسه في هذه القيود. .بأن تكون أول الأبيات مبتدأه بنفس الحرف الذي تختم به" (مرزوقي و بن الحاج يحي، أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) 1963، ص 88)

وتتضح شاعرية أبي الحسن الحصري، في تلك الأغراض التي نظمها في مختلف المناسبات، والموضوعات.

4/ الأغراض الشعرية:

4-1/ غرض المدح: هو من الأغراض الشعرية الشائعة عند الشعراء منذ القديم، ففيه يثني الشاعر على الممدوح، ويعدّد مناقبه كالوفاء والصدق والمروءة والشّجاعة والكرم كما أنّ الشاعر يتطلّع لنيل عطايا الممدوح وجوائزه السنيّة.

-**المدح لغة:** ورد في لسان العرب أنّ المدح: "نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء.." (منظور 1995، ص27)

-**اصطلاحا:** وفي اصطلاح النقاد، المدح غرض من الأغراض الشعرية "يقوم على فن الثناء، وتعداد مناقب الإنسان الحيّ، وإظهار آلائه، وإشاعة محامده وفعاله التي خلقها الله فيه بالفطرة، والتّي اكتسبها اكتسابا، والتي يتوهمها الشّاعر فيه" (طليمات و الأشقر 1422 هـ ،2002 م، ص 200)

سامية بوعجاجة

– ارتحل علي الحصري عن بلده القيروان في طور الشباب إثر نكبة القيروان، وركب البحر صوب الأندلس، وهناك اتصل بأعلامها النابهين، و فقهائها المعدودين، وأمرائها المبرزين. فقد عرف بمدائحه في المعتمد بن عبّاد، فكان يلج بلاطه، ويجد منه كلّ تجلّة وحظوة استقبال وعطاء وإحسان، يقول فيه:

يا هاروتي الطرف تُرى * كم لك نفثات في العُقد
فطعنت الأسد بلا أسلٍ * عبثا وقتلت بلا قَود
رضت الأيام جوامحها * وكففت اللّدّ عن اللّدد
وبلوتُ الناس فلستُ أرى * كبني عبّاد من أحد
القومُ بحار مسجورا * تٌ محفوفاتٌ بالزّبدِ
أبني عبّاد ما حسنت * إلاّ بكم الدّنيا فقَد
نقد الكرماءُ الدهر معي * فتخيّركم في المنتقد
وقضى لكم بالفضل على * من في أدنى أو في البعد
دانت بغداد لقرطبة * وخلائفها للمعتمدِ
سمعوا برشاد فتى لخم * فنفوا هارون عن الرّشدِ

(مرزوقي وبن الحاج يحي، أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) 1963، 113، 114)

فابن عباد في نظر الشاعر فاق الملوك والأمراء في الكرم والمجد والسّؤدد، كما فاقت قرطبة بغداد وغيرها من العواصم، كما فاق في الرّشد والحِلم هارون الرّشيد الخليفة العبّاسي الذّائع الصيت.

ويهنئه بالعيد، فيقول:

العيد أنت وإن هنوك بالعيد * والحسن أنت وإن خالوك في الغيدِ
وما مجاز كلام من حقيقته * ولا شهادة علمٍ مثل تقليد

مرزوقي و بن الحاج يحي، أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) ،(1963، ص 143)

كما عرف بكثرة مدائحه لأمير سرقسطة المقتدر بالله أحمد بن هود، قال يهنئه بانتصاره على أمير دانية، التي افتكها وضمها إلى ملكه:

كذا تفتض أبكار البلاد * ولا مَهرٌ سوى البيضِ الحدادِ

هديتَ العسكر الجرار ليلا * فأهديت الظُّباة إلى الهوادي

وما أقبلتَ إلاّ بعدما قد * سَقيتَ الثَّغر من ثُغَر الأعادي

وكان مرام دانية عزيزا * فهان على المسوّمة الجياد

كأنّ سيوفك الأقدارُ تجري * بما شاء الإلهُ على العباد

ومثلك من جنى ثمرَ الأماني * وآتى حقّه يوم الحصاد

تشاغلتِ الملوك بمن دهاها * وشغلك في جهاتكَ بالجهاد

بناك الله للإسلام حصنا * وعلّمك التجلّد للجلاد

وتنهض والثقيل عليكَ خِفٌّ * وتنظر والخفيُّ إليك باد

وكيف ينافسونك في المعالي * وأنت سبقتهم سبق الجواد؟

فتحتَ معاقلا لو أبصروها * لقالوا أنت لقمان بن عاد

(الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، د س، ص 263-264)

إنّ الشاعر يغالي في مدح ممدوحه بكل رفيع من المعاني، وعظيم من الخلال والخصال؛ فهو شجاع يسترخص روحه في سبيل الفتح والجهاد، جسور مقدام، لا يتهيّب المعامع، ولا تحول دون بلوغ أمانيه حصون ولا قصور مشيّدة، جواد كريم لا يجاريه أمير ولا ملك في سيب العطايا والنّوال.

ويلزم الشاعر نفسه بصنعة لفظية متكلفة؛ إذ تحفل قصائده، بل فنّه الأدبي كلّه بألوان من المحسنات البديعية التي يتعمد صنعتها.

ومنها الجناس في قوله:(هديت، أهديت)، (الثَّغر، الثُّغر)، (جهات، جهاد)، (التّجلّد، الجلاد)،(الخفّ، الخفيّ) ،(تشاغلت، شغلك)

والطباق هو الآخر ورد بكثرة، مما أضفى على القصيدة بهاء لافتا، مثل قوله:

(ثقيل/ خفّ)، (الخفيّ / باد)

ويبالغ في مدائحه، فيرتقي بالممدوح إلى مراتب الصحابة والتابعين، وذلك في قوله:(بناك الله للإسلام حصنا..) وهو يضاهي أعاظم الحكماء، في قوله:

(لقالوا أنت لقمان بن عاد)

وقال في الفقيه أبي المطرف الشعبي حين أنزله داره وأكرمه إثر قدومه من القيروان:

أمولىً شرفتُ به أم صديقُ * يواصلني حين يجفو الشّقيقُ

تملّكني ومُنًى ملكُهُ * فحسب معاليه أنّا رقيق

سقاني وأخلاقُه جنّةً * فمنها الرّياضُ ومنها الرّحيقُ

حلت وأُحلّت كريق الحبيب * فمنها الرّياض ومنها الرّحيقُ

وزاد على الزّاد ما فاتني * زمانا وإن طال ذاك الطّريقُ

فالقاضي أياديه بيضاء على الشّاعر، فقد آواه واستقبله في داره، وفتح له قلبه بسجاياه الطيّبة. لذلك هو يشبه أخلاقه بالجنّة الظليلة برياضها، العذبة برحيقها، ويشبّه حلاوتها برضاب المحبوب.

وتوشّى القصيدة بألوان من المحسنات البديعية، منها التصريع في البيت الأول:

(صديق– الشقيق) وكذلك الجناس: (تملّكني، ملكه)،(شقيق، رقيق)، (حلت، أحلّت)،(زاد، الزّاد)

والطباق في قوله:(يواصلني/ يجفو)،(الصّبوح/ الغبوق)

والتورية المرشّحة في قوله:(رقيق) فالمعنى القريب "الرقيق" من الرقّ والعبودية أما المعنى البعيد فيقصد أنّه تملك الناس بفضائله، وهو رقّ معنوي.

ويمدح أبا العبّاس النحوي البلنسي من قصيدة طويلة، فيقول:

قامت لأسقامي مقام طبيبها * ذكرى بلنسيّة وذكرُ أديبها

حدَثتني فشفيتَ منّي لوعةً * أمسيتُ محترق الحشا بلهيبها

أهوى بلنسيّة وما سببُ الهوى * إلاّ أبو العباس أنس غريبها

هبّ النسيمُ وما النسيم بطيّبٍ * حتّى يشاب بطيبه وبطيبها

(ضيف، د س، ص 171)

والتورية في قوله: غريبها، المعنى القريب، هو كل غريب عن بلده، أما المعنى البعيد المقصود، فهو الشاعر الذي تغرّب عن وطنه، واتخذ من الأندلس (بلنسية) وطنا بديلا.

2-4/الغزل: من مرادفاته التّشبيب والنسيب، وهو من أهم الموضوعات التّي شغلت الشعراء عبر العصور، وفيه "يصورون مشاعرهم وأحاسيسهم إزاء المرأة وما يكون بينهم وبينها من لقاء ووداع ووصال وهجران، وهم تارة سعداء بوصالها وتارة أشقياء يشكون الهجران والحرمان، ويتمنون ولو نظرة من بعيد، وكأنها الفردوس الذي حرموا منه، وهم يألمون لذلك أشد الألم مع الإكثار من الاستعطاف"

والغزل قسمان: حسي يصور فيه المرأة تصويرا حسيا، وغزل عفيف يكتفي الشاعر فيه بوصف أحاسيسه ولواعجه اتجاه المحبوبة، كما يتغنى بها ويشدو بحبّها، ويتشوّق لرؤيتها.

برع الحصري القيرواني في هذا الفن وأجاد، كما تأثر بالبيئة الأندلسية وحاكى شعراءها الذين تفنّنوا في هذا المجال. ومما قاله:

من لي بظبيٍ جناه معسولُ * دمي بدمعي عليه مغسولُ

تملّكني و مُنًى ملكُـهُ * أنّ دمَ العاشقين مطلولُ

حسام عينيكَ من فتورهما * كأنّهُ مُغمد ومسلولُ

اغمدْ وسلَّ ليس لي وَزر * أنا على الحالتين مقتولُ

من لي بظبيٍ جناه معسولُ * دمي بدمعي عليه مغسولُ

سامية بوعجاجة

والمقطوعة تحفل بالجناسات، فهو على طريقة أبي العلاء المعرّي يلزم نفسه بما لا يلزم، في قوله:(معسول، مغسول)،(دمي، دمعي)،(مطلول، مسلول)

والطباق، في قوله:(اغمد/ سل)

وقصيدته (ياليلُ الصَّبُ متى غدُهُ) أشهر من نار على علم، لقد سارت بذكرها الركبان، وتغنّى بحلاوتها وخفّة إيقاعها الشعراء في كل عصر ومصر.

والقصيدة مدح بها الأمير أبا عبد الرحمان محمد بن طاهر، صاحب مرسية، لكنه استهلها بمقدمة غزلية تقع في حوالي ثلاث وعشرين بيتا، ومما قاله:

يا ليلُ الصبُّ متى غدهُ * أقيام الساعة موعدهُ

رقد السّمار فأرّقه * أسفٌ للبين يردده

فبكاه النّجمُ ورقَّ له * مما يرعاه ويرصده

كلفٌ بغزال ذي هيف * خوفُ الواشين يشرّده

نصبت عيناي له شركا * في النوم فعزّ تصيّده

وكفى عجبا أنّي قنص * للسّرب سباني أغيده

صنمٌ للفتنة منتصب * أهواهُ ولا أتعبّده

كثيرون هم الشعراء الذين عارضوا القصيدة، فنسجوا على منوالها، في الموضوع والبحر والرويّ، بل حتى في زماننا الحالي تغنّى بها المغنون والملحنون، إعجابا بصياغتها، وجمال أسلوبها وعذوبة إيقاعها.

ومن مشاهير من عارضوها، ابن الأبّار، يقول:

منظوم الخدّ موردهُ * يكسوني السقم مجرّدهُ

شفاف الدرّ له جسدٌ * بأبي ما أودعَ مجسَدُه

ريمٌ يرمي عن أكحله * زرقا تصمي من يصمدهُ

متداني الخطوة من ترفٍ * أَتُرى الأحجالُ تقعّدُه

ولاّه الحسن وأمّره * وأتاه السّحرُ يؤيّده

كما عارضها شمس الدين الحسيني الشهير بالحصري الدمشقي، فقال:

صبٌّ بالهجر تهدده * قد ذاب جوى من ينجدهُ

والسّقم براه وأنحلهُ * فلذا ملّته عـوّدهُ

سهران الطرف له رقّت * في الليل نجومٌ تسهّده

وغدا يشدو من فرط جوًى * " يا ليل الصبّ متى غده"

ومن شعراء تونس المعاصرين الذين عارضوها، نجد أبا القاسم الشابي، يقول:

غنّاه الأمس وأطربهُ * وشجاه اليوم فما غده

قد كان له قلبٌ كالطّف * لِ يد الأحلام تهدهدهُ

مذ كان له مَلَكٌ في الكو * نِ جميل الطلعة يعبدهُ

في جوف الليل يناجيهِ * وأمام الفجر يمجّده

وعارضها أحمد شوقي، بقصيدة قريبة منه في الروي والوزن والمعنى واللغة، فقال:

مضناك جفاه مرقدهُ * وبكاه ورحمعوّدهُ

حيرانُ القلب معذّبهُ * مقروحُ الجفن مسهّدُهُ

أودى حُرَقا إلاّ رمقا * يبقيه عليك وتنفدُهُ

يستهوي الوُرق تأوُّههُ * ويذيب الصخر تنهّدهُ

ويناجي النجم ويتبعه * ويقيمُ الليل ويقعدهُ

(مبارك، د س، ص 115)

3-4/الرثاء: هو تفجّع وبكاء، وذكر لمآثر الميّت، ونوح على فضائله، التّي اندثرت بذهابه ،وتحسّر على فقده وما خلّفه موته من فراغ، خاصّة إذا كان الميّت من أهل المروءات والمكرمات، ومن أصحاب السيادة والبطولات، أو كان قريبا عزيزا على قلب الشاعر، كابن أو أم أو أب ..، فيترك في القلب حزنا ولوعة، وفي النفس حسرة ودمعة.

قال بعض الدارسين: "إذا كان الباعث على المدح الإعجاب، فإنّ الباعث على الرثاء الوفاء، والمدح والرثاء يلتقيان في باعث آخ، وهو الحبّ، إلاّ أنّ حبّ المادح مشوب بالطمع، وحبّ الرّاثي مضرّج بالجزع. ولخلوّ الرثاء، في أغلب الأحيان من الطمع، يبقى أنبل من المدح وأرفع" (طليمات والأشقر، الشعر في عصر النبوّة والخلافة الرّاشدة، 1428 هـ، 2007 م، ص 529)

ونلفي الشاعر كما مدح الملوك، فقد رثاهم، مذكرا في نفس الوقت بأخبار ملوك سبقوه من الأكاسرة والقياصرة، صاروا أثرا بعد عين، وهذه سنّة الوجود، يقول في رثاء المقتدر بن هود:

نعدّ حصونا كلَّ درعٍ ومِغفر * وتعدو المنايا في عرين الغضنفر

وإحدى بنات الدّهر تنسفُ أُحْدهُ * وتهدمُ بالتدمير بُنيانَ تدمر

نبا ناب عاد وهو كالليث عاديا * وماتت منى كسرى الملوك وقيصر

أعزَّ من اقتاد الخميس إلى الوغى * وأكرمَ من يُدعى له فوق منبرِ

(بسام، د س، ص 270-271)

ومن المحسنات اللفظية الواردة هنا، نجد الجناس في: (نبا، ناب)،(عاد، عاديا)، (التدمير، تدمر) أما الطباق في: (تهدم/ بنيان)

وهو ينضوي تحت باب رثاء الأباعد، والتكلف فيه بيّن وواضح. أما رثاء الأقارب فقد برع فيه الشاعر وأحسن، والعاطفة أصدق، والمشاعر أعمق؛ كما هو الشأن في رثائه لأبيه، إذ وقف بقبره قبل جوازه للأندلس، فقال:

أبي نيّرُ الأيام بعدك أظلما * وبنيان مجدي يوم متَّ تهدّما

وجسمي الذّي أبلاهُ فقدك إن أكن * رحلتُ به فالقلب عندك خيّما

سقى الله عيناً من تعمّد وقفةً * بقبركَ فاستسقى له وترحّما

وقال سلامٌ والثّواب جزاء مَن * ألمَّ على قبرِ الغريب فسلّما

(بسام، الذخيرة، د.س، ص 270)

ومن أشهر مراثيه، التي ذاعت وشاعت وعدت من درر الشعر العربي، مراثيه لابنه "عبد الغني" الذي مات دون العشر سنوات، وخلّف في نفس أبيه حسرة ولوعة وأسى.

وقد ضمّ ديوانه "اقتراح القريح واجتراح الجريح" هذه القصائد البكائية "وهي مرتبة على حروف المعجم، بلغت نحو ألفين وستمائة بيت. وكانت هذه المراثي من أقوى الأسباب في شهرة الحصري، وبعد صيته، لأنّها من أمتن وأقوى ما عرف من شعر الرثاء. فقصائد الديوان كلّها تنضح بحرقة ناظمها وشدة حزنه على ولده، حتّى تكاد تشمّ منها رائحة قتار كبده، وتلمس فيها لوعته وحرارة عاطفته"

إنّ لوعة الشاعر على فلذة كبده، الذي مات في سنيه الأولى، ألزم الشاعر أن ينظم بكائياته مرتبة بحسب حروف المعجم، ويصور بالتفصيل مراحل موته، ومرضه وحزنه عليه، كما يبرز حسن فعاله وخلاله، فقد حفظ كتاب الله وأتقن القراءات في ظرف وجيز، كما كان ملازما لوالده، مطيعا لأمره، ومما قاله:

حاشاكَ من نار على الأحشاء * يزداد ضِعفا حرُّها بالماء

أودى الذي في وجهه ويمينه * ماءان ماء حِبًا وماء حياء

أودى الذّي يضفو عليه إذا مشى * ثوبان ثوبُ سنًى وثوب سناء

كان عبد الغنيّ للعين نورا * ولقلبي هدًى وللعيشِ طيبا

كان شيبي به شبابا فلمّا * بان عنّي ردّ الشّبابا مشيبا

كنتُ في غربتي كأنّي بهِ في * وطني فانقضى فعدتُ غريبا

لم أطق فيه حيلةً غير أنّي * مذ قضى نحبهُ ألفت النّحيبَا

إنّ تأبينه الذّي هو دأبي * حرّم المدح بعده والنّسيــبا

تأثّر الشاعر كثيرا لفقد ابنه، الذي كان يؤنس وحدته، ويسليه بحضوره عن غربته وبعده عن وطنه، والقصيدة تحتشد بالعظات الحكمية.

سامية بوعجاجة

أما رثاء الأوطان، فذاك مجال عرف به شعراء المغرب والأندلس، إذ بكوا مدنهم وأوطانهم لمّا ألمّت بها النّوائب والنكبات، بأيدي العابثين والحاقدين من الأعداء والثائرين.

وقد شهد الشاعر في مقتبل عمره ببلده القيروان، فتنة أحالت حضارتها خرابا، وتاريخها الحافل بالأمجاد والعلم إلى دمار وضياع.

وكان المعز بن باديس حاكم القيروان قد أبطل العمل بالمذهب الشيعي، وأعاد العمل بالمذهب السّني المالكي، فاغتاظ المستنصر الفاطمي فأرسل قبائل بني سليم وهلال من صعيد مصر، واتجهوا صوب القيروان "سنة 449 هـ/1058 م وينازعهم صاحبها المعز بن باديس الصنهاجي، ويلحقون به هزيمة شديدة، ويضطر إلى ترك القيروان لهم وينحاز إلى المهدية عند ابنه حاكمها تميم، ويدخلون القيروان فيحيلونها أنقاضا، ويقضون على حضارتها ويفرّ منها كثير من علمائها ونابهي شعرائها" (ضيف، تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات (ليبيا ، تونس، صقلية) (شوقي ضيف، تاريخ الأدب، د ت،ص 280)

وكان أبو الحسن الحصري من الذين ارتحلوا عن وطنهم، صوب سبتة ومنها إلى الأندلس؛ بعد أن فقد الأمن والأمان وعمّت الفوضى والنّهب المكان، قال يندب القيروان:

موتُ الكرام حياة في مواطنهم * فإن هم اغتربوا ماتوا وما ماتوا

يا أهل ودّي لا والله ما انتكثتْ * عندي عهودٌ ولا ضاقت مودّاتُ

لئن بعُدتم وحال البحرُ دونكمُ * لبين أرواحنا في النّوم زوراتُ

أصبحت في غربتي لولا مكاتمتي * بكتني الأرضُ فيها والسّماواتُ

كأنّني لم أذق بالقيروان جنًى * ولم أقل ها لأحبابي ولا هاتوا

أبَعدَ أيامنا البيضِ التّي سلفت * تروقني غَدَواتٌ أو عشيّاتُ

ألا سقى الله أرض القيروان حيّا * كأنّه عبراتي المستهـــلات

ويحنّ الشاعر إلى وطنه، وقد عانى من الغربة، وأحسّ بالظلم والامتهان، فقال:

على العدوة القصوى وإن عفتِ الدّار * سلامُ غريب لا يؤوب فيزدارُ

وحُقّ بكاء العين والقلب مسعدُ * لمن بات مثلي لا حبيب ولا جار

ولم أر مثلي فاضلا ينقصونه * بلى قلّما يخلو من القرض دينار

شفى الله داء القيروانين بعدنا * فقد مرضت للقيروانين أبصارُ

وكيف غناء الطير في غير أيكها * وقد بعدت عنه فراخٌ وأوكارُ

4-4/ الهجـــــاء: هو ذم وقدح لشخص أو جماعة، وهو من الأغراض الشعرية؛ ويتعرض فيه الشاعر للمهجوّ بالحطّ والسّب، وذمّ صفاته الخَلقية والخُلقية.

وقد عرف الحصري بكثرة أهاجيه، ذكر ذلك ابن بسّام وغيره، فكان يمدح ويهجو، وقد ضاع أكثره، ولم يبق منه إلاّ النزر القليل، يقول: في ذم بعض الملوك سأله كسوة فأعطاه قمحا مسوّسا.

يريد سياسةً من لا يسمّى * وطبعٌ فيه يأبى أن يسوسا

سألت كُسًى فمنّاني بقمحٍ * وأعطاني مكان القمحِ سوسا

والجناس في:(سياسة، يسوسا) كما يشكّ الشاعر في أخلاق أهل زمانه، فالناس ملوك وسوقة يتساوون في الإساءة، ولا عجب في ذاك لأنّ أصلهم من طين، يقول:

فكّرتُ في خلق الورى فاستوى * عندي عبيدٌ وسلاطيـنُ

أصل الفريقين – ومن أجل ذا * قلبي عن الهمّ – سلا

والطباق قي قوله:(عبيد/ سلاطين)

5-4 / الزّهد: الزهد في اللغة: ضد الرغبة، عرفه الشريف الجرجاني، فقال: "الزهد في اللغة ترك الميل إلى الشيء، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هو بغض الدنيا والإعراض عنها" (الجرجاني، 1427 هـ، 2007 م، ص 184)

الزهد اصطلاحا: هو تيار أو حركة دينيّة، اختار سلوكها فئة من الناس عرفوا بالزهد، فقد آثروا الانصراف عن الدنيا ورغائبها، والإقبال نحو الدّار الآخرة الباقية، أي إعداد الزّاد لدار المعاد.

سامية بوعجاجة

ويركز الشعراء في قصائدهم الزهدية، على ذكر الموت والوقوف على القبور ومناجاة الأموات، والدعوة إلى العظة والاعتبار، وتمجيد الله وتعداد نعمه وآلائه، والدعوة إلى سلوك نهج النبي واتباع سنّته وهديه، والإلحاح على الأخلاق الطيّبة والفضائل النبيلة.

وفي ديوان "اقتراح القريح واجتراح الجريح "نجد أشعارا حكمية وزهديّة؛ فهو على سبيل المثال يدعو إلى حسن الظنّ بالله وحده والثقة بقضائه، فيقول:

ثق بالإله ولا تخف من ظالم * كم من مريدك والإله يريده

إنّ الرشيد نوى له الهادي الرّدى * فتوفيّ الهادي وعاش رشيده

فالرشيد هنا هو هارون الرشيد، والهادي هو أخوه، وكان يريد خلعه من الخلافة ولكن الله عجّل في موته، وتولاها الرشيد بعد أخيه الهادي.

ويذكر الشاعر بالموت، ويذكر بالدار الآخرة والمعاد والحساب، ويدعو إلى الحكمة والتدبر، فيقول:

تبارك المبديء المعيد * قد صدق الوعد والوعيد

الموت من آمل قريب * وهو يرى أنّه بعيد

يودّ لو عاش ألف عامٍ * وكلّ يوم لديه عيد

والكاتب البرّ عن يمين * وعن شمال له قعيد

من كان لا علم عنده هل * يشقى غدا أم هو سعيد

فكيف يهنيه طيب عيش * آخره الموت والصعيد

تبارك المبديء المعيد * قد صدق الوعد والوعيد

ويدعو إلى التفكّر في الدار الآخرة والمعاد، وإعداد العدّة بالتوبة والإنابة إلى الله والتقوى، فقد ظهرت أشراط الساعة ومنها جور الحكام، يقول:

قد حانت الساعة القنوت * فحسبك التّوب والقنوت

جاءتك أشراطها ومنها * جور السلاطين والسنوت

كما يسأل ربه الرحمة والمغفرة، فهو المنّان الوهاب، ويتحسّر على أيام الشباب الذاهبة، يقول:

نح في المشيب على الصبا * وعلى ليال ذاهبات

وسل المهيمن رحمة * تجد المهيمن ذا هبات

والطباق في قوله:(المشيب/ الصبا) أما التورية المجردة، في قوله:(ذا هبات) ويقصد بها عطايا الله تعالى ومنحه.

النتائج:

وأخلص إلى أنّ التجربة الشعرية عند أبي الحسن الحصري كانت غنيّة في مضامينها، كما أنّ الشاعر عرف بتفنّنه في مجال النظم، إذ يصنع القصيدة ويتكلّف في صوغ ألفاظها وعباراتها، كما يعمد إلى توشيتها بألوان من التوريات والجناس والطّباق، فيزيد النص جمالا وبيانا.

وتكمن شاعريته في الأغراض الشعرية المتنوعة، فقد مدح ملوك الأندلس وفقهاءها، وأجاد في الغزل وطارت قصيدته" ياليل الصبّ متى غده "شهرة، وعارضها كثير من الشعراء، وبكى ابنه "عبد الغني" بقصائد تقطر حزنا ولوعة، كما بكى مدينته القيروان التي فارقها مرغما بعد الخراب الذّي حلّ بها.

وعرف بكثرة أهاجيه، وفي أواخر حياته انتحى مسلكا زهديا، فدعى إلى التفكر في حقيقة الحياة، والتزود لدار المعاد، والإنابة إلى الله خالق الكون والعباد.

المراجع:

1- ا. ب) .د ت .(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)،(القسم 4 ، 1) .(إ. عباس. (دار النشر بيروت: دار الثقافة ,1963 .م. م.

2- الشنتريني, ا. ب) .د ت .(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)،(القسم 4) .(إ. عباس)، النشر . بيروت: دار الثقافة.

3- الشنتريني, ا. ب) .د ت .(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) ، (القسم 4) .(إ. عباس(النشر بيروت: دار الثقافة.

4- الشنتريني, ا. ب) .د ت .(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) ،القسم 4 (إ. عباس) ، بيروت: دار الثقافة.

5- الشنتريني, ا. ب) .د ت .(لذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .القسم 4) .(إ. عباس) ، بيروت :دار الثقافة.

6- ضيف, ش) .د ت .(عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان) .القاهرة: دار المعارف. ط1

7- طليمات, غ، الأشقر, ع 1422هـ ، 2002 م .الأدب الجاهلي :(قضاياه، أغراضه، أعلامه ،فنونه) .دمشق: دار الفكر . .ط1

8- طليمات, غ، الأشقر, ع 1428) .هـ ، 2007 م .(الشعر في عصر النبوّة والخلافة الرّاشدة .) ط1 .دمشق: دار الفكر.

9- عبد الوهاب, ح. ح .(2009) .بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، .قرطاج, تونس: وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، بيت الحكمة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون.

10-مبارك, ز .(د ت) الموازنة بين الشعراء (.ط2) ، النشر القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

11-مرزوقي, م,ن الحاج يحي, ا .(1963) .، أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله ، دواوينه الشعرية) .تونس: مكتبة المنار.

12-مرزوقي, م .,بن الحاج يحي, ا .(1963) .أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله ، دواوينه الشعرية) .تونس: مكتبة المنار.

13-مرزوقي, م ، بن الحاج يحي, ا .(1963) .أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله ، دواوينه الشعرية) .تونس: مكتبة المنار.

14-مرزوقي, م، بن الحاج يحي, ا .(1963) .أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله ، دواوينه الشعرية) .تونس: مكتبة المنار.

15-مرزوقي, م بن الحاج يحي, ا .(1963) .أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) .تونس, تونس: مكتبة المنار.

16-مرزوقي, م، بن الحاج يحي, ا .(1963) .أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله ، دواوينه الشعرية) .تونس: مكتبة المنار.

17-مرزوقي, م ,بن الحاج يحي, ا .(1963) .أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) .تونس: مكتبة المنار.

18-مرزوقي, م ,بن الحاج يحي, ا .(1963) .أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) .تونس: مكتبة المنار.

19-مرزوقي, م, بن الحاج يحي, ا .(1963) .أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) .تونس: مكتبة المنار.

20-مرزوقي, م ,بن الحاج يحي, ا .(1963) .أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) .تونس: مكتبة المنار.

21-مرزوقي, م. بن الحاج يحي, ا .(1963) .أبو الحسن الحصري القيرواني(عصره، حياته، رسائله، دواوينه الشعرية) .تونس: مكتبة المنار.

22-منظور, ا .(1995) .لسان العرب (ط1) مج6 ، النشر : (بيروت : دار صادر) .